تمازج الذات مع مدارات التراث في منحوتات المصرية " منى غريب"

د. نيفين الرفاعي

تمتعت مصر بإرث إبداعي بزغ منذ سنوات حضارتها الأولى في عصر ما قبل الأسرات، وعلى صدى ذلك نشطت الحركة الفنية المصرية الحديثة ثم المعاصرة متواكبة مع تيارات الفن الأوروبي الحديث منذ بداية القرن العشرين – من حيث الشكل –بينما تعبر في ذات الوقت عن الواقع والخيال المصري من حيث المضمون. وإبان حالة اهتمام الغرب بتاريخ ودراسة فنون الحضارات القديمة قبل اهتمامنا نحن بكنوزنا واكتشافها؛ لفت انتباه الفنانين المصريين قيمة ما تم اكتشافه في تاريخ موطنهم، واستلهموا من أشكاله ورموزه وقِيَمَهُ الجمالية ما يثري تجاربهم الإبداعية، ليتم تراكب الخبرات المتنوعة، ومن ثَم يخرج الفن المصري المعاصر ليس فقط في إطار إحياء القديم، لكن بصور متفردة دالة عن هوية راسخة أصيلة، آخذاً بناصية دور الفنان في الخروج بتعبير عن مجتمعه وأرضه، كمجال يستمد منه أفكاره وأخيلته.

ومن إحدى الصور الإبداعية القوية التي تتميز بالجدة وقوة هضم الموروث ورموزه الموحية تجربة الفنانة المصرية الشابة "منى غريب" (1984م)، فيلحظ المرء في تركيبة أعمالها النحتية – بمراحلها المختلفة – أثر الحياة الاجتماعية وما فيها من أساطير وعادات وعقائد، كذلك وقع الطبيعة الجغرافية الملموس وما تمنحه من خامات فريدة، والتي بدورها تجلب هذا النتاج اللافت للبصر وللذهن وللوجدان.

جذب "غريب" النحت الخزفي*، مؤمنة بأن فن الخزف من أرقى الفنون التي عرفتها الإنسانية ولازمت الحضارات المختلفة منذ أقدم العصور ، من حيث كونه فن وحرفة وصناعة مارسها الإنسان منذ قديم الزمان في بقاع الأرض التي عاش فيها، لذا يشعر بقوة الامتزاج بينه وبين الطين، وفي تفسير تلك الحميمية قال الله عز وجل (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ) ؛ واتخذت الفنانة من معطيات واحة "سيوة " المتفردة – التي مكثت فيها فترة تقترب من العامين مبتعدة عن مدينتها الأصلية " الإسكندرية " – الخامة المناسبة لتشكيل منحوتاتها ، بعد اكتسابها الخبرة الكافية بالمواد الطبيعية وإلمامها بكم كبير من المعرفة حول خصائصها وتأثراتها ، و من ثَم القدرة على تقييم درجة جودتها، هذا بجانب ممارستها لفن النحت منذ طفولتها و بدء احترافها له بعد دخولها لدراسته في كلية الفنون الجميلة .. فكانت أعمالها مكونة جميعاً من الطين الأسواني ومنفذة بطرق التشكيل المباشر، حيث استخدام الأحبال الطينية مع الشرائح، بالإضافة إلى الرسم أو الكتابة على أسطح التماثيل مع إظهار التفاصيل باستخدام البطانات** المضاف إليها الأكاسيد المعدنية كأكسيد الحديد وأكسيد المنجنيز التي تضفي للتمثال لوناً مميزاً.

وللوهلة الأولى يستشعر الرائي كوصف لأعمال " غريب " نغمة أو مدار "النسوية feminism"في مجمل أعمالها، فهي صانعة من عنصر " المرأة " – والذي يعبر عن كيان الفنانة الأنثوي في كثير من الأحيان كما ذكرت– العنصر المهيمن في منحوتاتها، فيأتي مفرداً (شكل 1 أ، ب)..

---

*النحت الخزفي: مصطلح يجمع بين فني النحت والخزف، ويتخذ مجالاً محدداً في تكوينه من الناحية التقنيّة وكذلك من ناحية النمط وطرق المعالجة ورغم إن النحت الخزفي يشترك مع النحت في الكتلة والهيئة والتعبير، ولكنّه يختلف في الخامة واللوّن والفراغ الداخلي وطرق التشكيل وضرورة تعرضه لدرجات حرارة خاصة اثناء عملية الحرق.

** البطانة عبارة عن اكاسيد معدنية ارضية مخلوطة ببودرة طين وماء ... ويفضل الطين المستخدم في البطانة للتلوين من نفس نوع الطين الي في الجسم المطبق عليه.

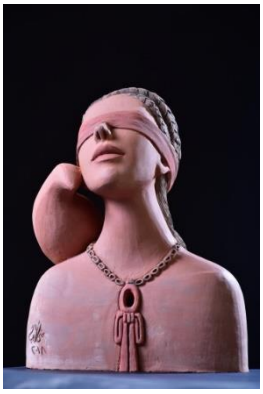

(شكل 1 أ، ب) " عقدة إيزيس " – 45 سم ارتفاع – طين أسواني – تشكيل مباشر بالأحبال – بطانة تتركب من طين أسواني مضاف إليه 30 % أكسيد حديد واللون الرمادي بالتلوين بأكسيد المنجنيز مباشرة – إنتاج 2018

..أو في جمع ثلاثي لنسوة (شكل 2 أ، ب، ج، د)..

(شكل2 أ، ب، ج، د) – " الثالوث " – مجموعة مكونة من ثلاثة أجزاء ارتفاع اثنين منهم 30 سم والثالثة 33 سم – تشكيل مباشر بالأحبال – بطانة تتركب من طين أسواني مضاف إليه 30 % أكسيد حديد واللون الرمادي بالتلوين بأكسيد المنجنيز مباشرة – إنتاج 2018

وقد جعلت " غريب " من شعر فتياتها المصفف بعناية وضفائرهن الطويلة متنوعة السُمك مادة ثرية للملامس في الأشكال بجانب الإيحاء الحركي للخصلات والجدائل الحرة، تلك الضفائر التي أحيانا تمثل مفردة الرمز المشترك بين المصري القديم والمعاصر.

بالإضافة إلى حضور للعديد من العناصر في الأعمال المتباينة، وتتمازج الرموز مختلفة المصدر (قديماً أو آنياً) في تناغم مرن حيوي وتوافق بصري يريح المتلقي للمنحوتات.. فتارة نجد رمز مفتاح الحياة ، أو زهرة اللوتس ، أو احتلال طائر أحد كتفي المرأة مع كتابات مقروءة كخواطر الفنانة، مع بزوغ قلادة " عقدة إيزيس Knot of Isis " على صدر تلك الأنثى، أو تواجد حلول هندسية كإيقاعات متكررة مفرغة ملونة بألوان عدة ، وهي كشرائط حول الرقاب وكأنها قلادة مصرية قديمة ، أو حضور لأشكال عضوية كأوراق الشجر أو المثلثات مستوحاة من الفن الشعبي وخاصة من "النوبة" تارة أخرى ، هذا بالإضافة إلى استخدام الفنانة لرمز يجسد سمكة في صورة شكل مفرغ لتزدان به بعض تماثيلها ، وقد تواجد في منطقة الصدر أو الظهر كرمز يحمل الكثير من الدلالات في التراث ؛مثل الخير والعيش الرغيد وجلب الحظ ، مع استخدام للحروفية الكتابية المستوحاة من الفن الشعبي أو كتابات الترانيم المصرية القديمة المترجمة للعربية بها مواعظ الحياه.

وعلى الرغم من دخول العنصر المذكر في آونة ابتكارات الفنانة الأخيرة، إلا أن ذلك لم يحُول دون إدراك حالة " النسوية " التي تميزت بها منحوتات " غريب "، فقد كان تواجده وكأنه ليضفي حالة العنصر النقيض في النوع والحالة أو في اتجاهات الحركة (شكل 3 أ، ب) ..

(شكل 3 أ، ب) – " عتاب " – 50 سم ارتفاع – تشكيل مباشر بالأحبال – بطانة تتركب من طين أسواني مضاف إليه 30 % أكسيد حديد واللون الرمادي بالتلوين بأكسيد المنجنيز مباشرة – إنتاج 2018

..، أو لتأكيد القيمة التعبيرية لحالة هشاشة ورقة التمثال الأنثوي (شكل 4 أ، ب)..

(شكل 4 أ، ب) _ " عناق " – 50 سم ارتفاع – تشكيل مباشر بالأحبال – بطانة تتركب من طين أسواني مضاف إليه 30 % أكسيد حديد واللون الرمادي بالتلوين بأكسيد المنجنيز مباشرة – إنتاج 2018

اتخذت الفنانة "منى غريب " في أعمالها مساراً يشبه حركة البندول المتأرجحة بين قطبين بأريحية ويسر؛ حيث الذهاب قديماً للجذور المصرية وسبر أغوار رموزها وتكويناتها الجمالية ، والإياب إلى منطقة المعاصرة المصرية بأيقوناتها ومفرداتها الفطرية أو الشعبية في المناطق النائية المبتعدة عن المدنية الصاخبة ، وذلك بعد دراساتها المتعمقة لمدلول الرمز في الزمنين ، فاهتمت بالقراءة والبحث في هذا الإطار وأخرجت مخزون استلهامها من الموروث الحضاري والتراثي المصري العديد من العناصر والمفردات التي تنعكس على بنية أعمالها من النحت الخزفي ، فأطلقت على معارضها الفردية مسميات موحية بسياده الحالة الروحية والعقائدية لوقع قوة الرمز ؛ كعناوين :" من وحي سيوة" " العشاء" واخيراً " أسفار التكوين" ، فضلاً عن الإيحاء بالألفة والاطمئنان للمناخ الشعبي المحبب.

وكذلك كانت أبرز رموز " غريب " المستلهمة من النحت المصري القديم جلية في تكوينات التماثيل النصفية أو المكتملة التي كانت تتسم بتبسيط المساحات واقترابها من المسطحات هندسية الطابع؛ فهي إما المتخذة هيئة شكل الهرم، وأحيانا توحي بالتعبد مع تضافرها بفكرة الثواب والعقاب المستلهمة من الفكر المصري القديم، حين تواجد رمز القلب في أحد الكفين بينما الكف الأخرى تحمل ريشة لطائر. (شكل 5 أ، ب)..

شكل (5 أ، ب) " الصراط " – 25 سم ارتفاع – طين سواني – تشكيل مباشر بالأحبال – بطانة تتركب من طين أسواني مضاف إليه 30 % أكسيد حديد واللون الرمادي بالتلوين بأكسيد المنجنيز مباشرة – إنتاج 2018

..، أو كذلك التي تشبه وضعية العديد من التماثيل المكتملة المصرية القديمة وهي التي التحمت فيها سيقان التمثال بهيئة جسم المقعد مع مد الذراعين وقلب الكفين على الركبتين (شكل 6 أ، ب، ج)

(شكل 6 أ، ب، ج) – "أسفار التكوين" – 70 سم ارتفاع – تشكيل مباشر بالأحبال – بطانة تتركب من طين أسواني مضاف إليه 30 % أكسيد حديد واللون الرمادي بالتلوين بأكسيد المنجنيز مباشرة – إنتاج 2018

فضلاً عن استخدام عناصر تتضافر مع شخوص تماثيلها، لها مدلولها الرمزي في التراث ليتم التعبير عنها بصورة معاصرة، فهي استعانت بمسمى" البا".. وهي الروح السماوية وشخصية الإنسان في عالم الروح عند فكر المصري القديم، لتطلقه على إحدى إناثها، بينما في حضور الرمز المعاصر يُلحظ الملبس المقترن بالعباءة أو "الشال" القروي، في حين توحي فراشات بالرقص والوثب برشاقة فوق كتفي المرأة وكأنها أرواح طيبة تحرسها من الشرور كما في الموروث المصري الشعبي. (شكل 7 أ، ب)

(شكل 7 أ، ب) "البا "– ارتفاع 25 سم – طين أسواني – تشكيل مباشر بالأحبال – بطانة تتركب من طين أسواني مضاف إليه 30% أكسيد حديد بينما اللون الرمادي بالتلوين بأكسيد المنجنيز مباشرة – انتاج 2018

وجاء مدلول التعبير عن خجل أو تعبد أو توحد أو اغتراب امرأة " غريب " متمثلاً في محاولة الأخيرة الدؤوبة لإخفاء أعين الإناث (أو في أحيانٍ أخرى الذكور)، فهي تضع ما يمثل شكل عصابة قماشية على الأعين، أو تذهب بغطاء الرأس مسافة أبعد من محيط الوجه ملقياً ظلاله على الجبهة ومن ثم منطقة العين مؤدياً ذات الهدف، تزامنا مع تجلي ابتسامة ثقة هادئة في حالة حنو واطمئنان وسكينة المتعبد في ملكوت الكون بسلام نفسي جلي.

و في مسار تطور التجربة، يترك ما سبق وقعه في ديمومة الالتحام بالذات في مدار نسوي، فخرجت أعمال الفنانة منى غريب في حداثة إنتاجها كحوار مع أنوثتها وهشاشة تكوينها الجسدي والنفسي، حاملة التعبير عن أوقات الحظر مع العزل والوهن والإعياء الناتج عن الإصابة بالوباء الأخير المنتشر بالعالم، فكان أحد تماثيلها المسمى " الهَدّة "–كمصطلح شعبي له دلالته –

ناقلاً بوضعيته الجنينية – ومردودها في علم النفس– الإحساس بفقدان الطاقة والقدرة على المقاومة تماماً (شكل 8 أ، ب).

(شكل 8 أ، ب) – " الهَدة" – مقاس ٣٥-٣٠-١٧سم –نحت فخاري –تيراكوتا– ملونة بالصبغات والبطانات –اغسطس ٢٠٢٠

لقد عكست منحوتات الفنانة "منى غريب " ما يكمن بذاتها كأنثى في مجتمع شرقي، عشقت إرثه وتمازج أزمنته الحضارية.. لكن في أحيانٍ أخرى، تمنت وأن تمحورت حول كيانها العاشق لألفة ودفء الموروث، مع لفظ محاولات طمس المدنية المعاصرة له.. وكأن مهمتها الإبداعية هنا واجب قومي في مدار الانتماء إلى وطن ذي إرث حضاري عريق مثل مصر، وذلك لإرساء وتحذير أصول فنية لها هويتها المصرية المتفردة في نفوس الأجيال.

المصادر :

- سمير غريب – في تأريخ الفنون الجميلة – دار الشروق – القاهرة – جمهورية مصر العربية – 1998م
- هيغل :الفن الرمزي, ط1, ت. جورج طرابيشي, دار الطليعة, بيروت, 1973
- عفيف بهنسي: الفن الحديث في الأقطار العربية، اليونسكو، دار الجنوب للنشر، 1980
- ياسمين ، عبد الناصر : (الرمزية الدينية) ، زهراء الشرق ، القاهرة ، 2006م.
- لانجر، سوزان: (رمز الفن والرمز في الفن)، مجلة علامات في النقد الأدبي، العدد 14، ديسمبر 1994م.
- فيليب سيرنج – الرموز في الفن– الأديان– الحياة، ط1، ت. عبد الهادي عباس، دار دمشق، 1992.
- كارل غوستاف وأخرون. الأنسان ورموزه, ت . سمير علي, منشورات وزارة الثقافة والأعلام, سلسلة كتب مترجمة, 1984
- محمد، حسيني على: (دور الرمز في المعرفة الإسلامية)، مجلة القافلة، العدد 4، سبتمبر، 1996م.